فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "شرح الأربعين النووية"

الحديث الحادي والعشرون

لفضيلة الشيخ: هاني حلمي

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-68361.htm

عن أبي عمرة سفيان بن عبد الله الثقفي قال "قلت يا رسول الله –عد معي– قل لي في الإسلام قولاً– كم كلمة حتى الآن؟ خمس –لا أسأل عنه أحدًا بعدك –كم كلمة؟ عشر، ماذا قال له النبي– "قل آمنت بالله ثم استقم"، كم كلمة؟ خمس، قالوا هذا أعظم سؤال سُئل النبي إياه، رجل جمع كل ما يريد في عشر كلمات فلأن النبي –صلى الله عليه وسلم– أُتي جوامع الكلم رد عليه بخمس، يعني جاء بأحسن وأبلغ سؤال "قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: قل آمنت بالله ثم استقم"، هذا الحديث رواه مسلم، وهو حديث بديع من جوامع كلم النبي –صلى الله عليه وسلم– لأنه جمع أصول الإسلام في كلمتين: الإيمان والاستقامة.

سبب ورود الحديث:

الحديث له قصة، سفيان بن عبد الله الثقفي، ثقيف أتى في عام الوفود، عام الوفود كان سنة تسعة هجرية قبل وفاة النبي بسنة ونصف تقريبًا، إذن نحن نتكلم في آخر بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–، يعني نتكلم في أبي بكر الذي عنده إحدى وعشرون عامًا إسلام، عمر أسلم في العام الخامس ونحن نتكلم في عام تسعة يعني عمر الآن عنده ستة عشر عامًا إسلام، ما مناسبة العام التاسع؟ يعني لم يعد هناك غزوات، انتهت، يعني الغزوات الكبرى مع قريش وغيرها، فتحنا مكة، الوضع الآن دولة مترامية خلاص الموضوع في نهايته.

جاء سفيان ينظر إلى الصحابة وجد أبا بكر واحد وعشرون سنة إسلام، وعمر ستة عشر سنة إسلام، كيف لهم ذلك؟، كما يأتي واحد في آخر الدورة ويقول أنا فاتني الموضوع كله الناس خلصت وعملت وأخذت المذكرات والاسطوانة وعملت –وهيمتحنوا وهيأخذوا عمرة وليلتهم قُل إن شاء الله–، لكن هذا جاء في النهاية لذلك فهذا الموقف هو الذي جعله يسأل هذا السؤال، ماذا قال له؟ "قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك"، قل لي الخلاصة فهمتم سبب ورود الحديث، فقال النبي صلى الله عليه و سلم "قل آمنت بالله"

من معاني الحديث:

"قل آمنت بالله" أي جدد إيمانك "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا" النساء:١٣٦، متذكرًا ربك بقلبك ذاكرًا إياه بلسانك، مستحضرًا معاني الإيمان، "قل آمنت بالله" عند حدوث أي مشكلة "آمنت بالله"،كلما يُغلق عليك فهم موضوع "آمنت بالله"، كلما تشعر أن هناك مسائل كثيرة يصعب فهمها "آمنت بالله" ، ثم بعد ذلك الاستقامة.

معنى الاستقامة عند الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم

الحديث كله يشرح معنى الاستقامة، الاستقامة عرفوها كما يلي: قال أبو بكر في تفسير قول الله تبارك وتعالى "إِنَّ

الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" فصلت:٣٠، قال أبو بكر لم يشركوا بالله شيئًا، وفي رواية أخرى أجمل "لم يلتفتوا إلى إله غيره" قلبه لا يزوغ.

سيدنا عمر ماذا قال في الآية "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" قال استقاموا على طاعته فلم يروغوا روغان الثعالب، لا يزوغ ولا يحوّر ولا يلتفت.

هذا المحقق "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" آل عمران:٧، إذن لم يروغوا هذه تفسيرات الصحابة لهذا المعنى.

السلف قالوا "هي الخصلة التي بها كملت المحاسن فهي سلوك الصراط المستقيم والدين القويم" هذا معنى " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة:٦، ألم يقولون أن أقرب خط ما بين نقطتين هو الخط المستقيم.

معنى الاستقامة كما جاء في سورة هود

ما معنى الاستقامة، أريد أن تعرفوه بطريقة جديدة، "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " هود:١١٢:١١٥، اكتب معي:

١ـ كَمَا أُمِرْتَ، ٢ـ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ، ٣ـ وَلَا تَطْغَوْا، ٤ـ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، ٥ـ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

٦ـ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، ٧ـ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، ٨ـ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ٩ـ وَاصْبِرْ

١٠ـ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، كم شيء؟ سوف نذكرهم في الشرح:

١ـ "كَمَا أُمِرْتَ"، تريد أن تستقيم؟ لا تُزيد ولا تُنقص، الذي يُشاد الدين يغلبه، الذي يشدد في الدين يغلبه "لا يُشاد الدين أحد إلا غلبه" صححه الألباني، هذا اسمه إفراط، الذي يتساهل في الدين هذا اسمه تفريط، والذي يمشي على طريق النبي يستقيم –صلى الله عليه وسلم–، "كما أُمرت" مثلما ربنا أمرك هذا رقم واحد.

٢ـ "وَمَنْ تَابَ مَعَكَ"، تريد أن تستقيم؟ لابد من رفقة صالحة "ومن تاب معك"، إذن لا يمكنني أن أستقيم بمفردي لابد أن يكون معي رفقة صالحة.

٣ـ "وَلَا تَطْغَوْا"، قال تعالى "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى" العلق ٦:٧، "لا تطغوا" معناها لا تنظر على عملك ربنا فسرها هكذا الطغيان، "أَنْ رَآَهُ" يعني رأى نفسه، تريد أن تستقيم لا تنظر لعملك لأنك عندما تنظر إليه تقول –أنا كويس– وتقف –وأول ما تقف هتيجي على جدور رقبتك على طول–، إذن "وَلَا تَطْغَوْا" أي لا تتجاوز الحد وفي نفس الوقت لا تنظر إلى عملك.

٤ـ "إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"، تذكر مراقبة الله لك، تذكر "إنه بما تعملون بصير"، تذكر مراقبة الله لك.

٥ـ "وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا"، هذه ارمِ حمولك عليه تستقم، لأنك إذا رميت حمولك على غيره تمسكم النار.

٦ـ "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ"، نسميها إصلاح الفرائض.

٧_ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، الاجتهاد في النوافل الذي نسميه حراسة الفرائض بالنوافل.

٨_ إذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة تستقم "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ" هل أنت معصوم؟ لا، إذن عندما تفعل ذنب افعل حسنة تستقم.

٩_ الصبر ١٠_ الإحسان

هذه وصفة الاستقامة عشرة أشياء من القرآن مَن يفعلها يستقم.

معنى الاستقامة كما جاء في سورة الكهف

هناك أشياء أخرى في القرآن، أول عشر آيات في سورة الكهف، تعرف فضلها؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال" صحيح مسلم، هذه أعظم فتنة في الدنيا فتنة الدجال، نقرأ الآيات معًا، قال الله تعالى:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا * فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا * أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا" الكهف ١٠:١.

إذن لماذا يُحفظ من فتنة الدجال مَن يَحفظ هذه الآيات؟ مفتاحهم مفتاح السورة كلها، كلمة واحدة في أول السورة "قَيِّمًا"، ما معنى " قَيِّمًا"؟ يعني مستقيمًا، "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا"، ليس معوج، مستقيم.

هذه سبعة أشياء ذُكرت هنا هي وصفة الاستقامة وعشرة من سورة هود لكن بينهما واحدة مشتركة إذن تكون في النهاية ستة عشر، ستة عشر عمل في القرآن، اشرح الاستقامة.. إذن اشرح هذين الشيئين.

كلما اقتربت من القرآن أخذت من أوصافه

١_ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا* قَيِّمًا" يقولون: كلما اقتربت من القرآن أخذت من أوصافه، يعني القرآن عزيز لو أنت قريب من القرآن تكون أنت عزيز، القرآن كريم لو أنت أصبحت قرآنيًا تصبح أنت كريم، القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهكذا القرآن لا عوج فيه، القرآن مستقيم، أول وصفة للاستقامة كن قرآنيًا، اقرأ قرآن، تدبر قرآن، عِش بالقرآن، خلقك القرآن، وقتها سوف تستقيم أو قيمًا، كلما اقتربت من القرآن أخذت من أوصافه.

فقه سياسة النفس

٢_ "قَيِّمًا لِيُنْذِرَ"، "وَيُبَشِّرَ"، هذا يسمى فقه سياسة النفس، مَن هو الغير مستقيم؟ إما الذي يسير على هواه الذي

يفعل ما في رأسه –إيه يا عم كلنا هندخل الجنة والمسلمين كلهم في الجنة وسيبنا بقى في عيشتنا وكدا–، فهذا يأخذ جزء ويترك جزء، يأخذ الرجاء ويترك الخوف، وهناك آخر مُحبط يرى الدنيا سوداء وعلى النار حتف، الكلام الذي ذكرناه على اليائسين، فهو يأخذ الخوف ويترك الرجاء، ماذا تريد النفس إذن؟

يقول لك ماذا تفعل مع ابنك كي تعوِّده؟، يقولون النمرة والحيوانات المفترسة كيف يعاملها المدرب في السيرك؟، بالعصا والجزرة، مرة يضرب وأخرى يعطي جزرة، كذلك أنت مع ابنك مرة تصيح فيه ومرة تعطيه شيكولاتة، هكذا النفس، فالذي يعرف متى يعطي نفسه الشيكولاته في الوقت الذي تحتاج هي، ومتى يشد عليها ويعطيها بالعصا في الوقت الذي تحتاج فيه إلى العصا، هذا هو المستقيم.

فقه سياسة النفس في يبشر وينذر، ترغيب وترهيب، خوف ورجاء، إذن رقم اثنين سياسة النفس.

سداد الألسنة

٣_ ثم قال "قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا" الكهف ٢:٤

النبي قال سدد ألسنتنا في الدعاء –صلى الله عليه وسلم– وقال: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه" حسنه الألباني

حديث الاستقامة في معادلة الإيمان لن يكون موجود غير أن قلبي يبقى مستقيم ممكن يكون مظهري جيد لكن الإيمان مزوغ إذن لا يوجد إيمان كامل، لا يوجد إيمان قوي، ماذا نفعل يا رب لكي نجعل قلوبنا مستقيمة؟، قل لنا يا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" كيف ذلك؟، مشكلة الذين قالوا اتخذ الله ولدًا، لم يقل الذين اتخذوا إلهً غير الله، أين مشكلتهم؟ "قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً" هذه الكلمة لها ميزان، الاستقامة على ماذا؟ على سداد اللسان، جرب، وذكرنا هذا الكلام عندما قلنا مَن صمت نجا وعندما قلنا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "فليقل خيرًا أو ليصمت" صحيح البخاري، إذن رقم ثلاثة سداد الألسنة.

الامتثال لأمر الله تعالى

٤_ ثم قال "مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا* فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" الكهف ٤:٥ هنا ربنا يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– لماذا تفعل ذلك؟ –إنت مقطع نفسك عشانهم ليه– أنا لم آمرك بهذا "مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى" طه:٢

يفهم بعض الناس الدين خطأ، قطعًا النبي ليس كذلك، أنا أتكلم عن الناس في تطبيقاتهم فاهمين الدين خطأ، يعتقد أنه لما يشدد على نفسه ويشق على نفسه أن هذا ما يريده الله، لا.. يقول لك الآن نم، تقول لا أنا أصلي طول الليل، لا نم، لا أنا أريد فعل كذا، أنا أصوم لا أفطر، لا.. "أما واللهِ إني لأخشاكم للهِ وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطِرُ ، وأُصلِّي وأرقُدُ، وأتزوَّجُ النساءَ" صحيح البخاري، هذه نسميها الامتثال، نعرفها وذكرناها منذ قليل، هذه هي "كَمَا

أُمِرْتَ"، إذن هذه هي المشتركة بينهم "كَمَا أُمِرْتَ"، فنعتبرها هي التي ذكرناها.

الزهد في الدنيا طريق الاستقامة

٥_ فهم حقيقة الدنيا، يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– "الفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إن أزاغه إلا هي" حسنه الألباني

النبي يقول: " فواللهِ لا الفقرُ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَطَ عليكمُ الدنيا، كما بُسِطَتْ على مَن كان قبلكم، فتَنَافسوها كما تَنَافسوها، وتُهْلِككم كما أهلكتهم" صحيح البخاري

قل لي الآن لماذا تسرح في الصلاة؟، لما دماغك تسحب يسار ويمين، أين؟ لأنها دنيا، دنيا.. سواءً كانت مال، كانت عمل، كانت زوجة، كانت شهوة، كانت مثلما تكون، قال لك أتعرف حقيقة الدنيا؟ "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا" الكهف:٦، ما معنى زينة؟ يعني ماكياج، المرأة عندما تضع ماكياج يصبح مظهرها جميل وتفتن لكن بعد قليل يزول الماكياج وتغسل وجهها وتعود إلى حقيقتها، عندما تضع باروكة وهي شعرها تعبان على الآخر وتزيل الباروكة!، هذه هي الدنيا "مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا" لماذا؟ "لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"، وما دخل الدنيا يا رب في أحسن عملا؟ قال لك لأن أحسن الناس عملاً هم أزهد الناس فيها، إذن فهم حقيقة الدنيا "الزهد فيها طريق الاستقامة".

عبادة التبتل

٦_ ثم قال شيئين في آخر آية "أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا" الكهف:٩، أصحاب الكهف، لكي تستقيم تحتاج لك كهف؟ الذي هو عبادة التبتل، الذي هو الاعتكاف، الذي هو الجلسة في المسجد، أن أغلق قليلاً على نفسي وأبتعد عن مغريات الدنيا، الذي هو جلسة بينك وبين ربنا ربع ساعة وأنت تغلق على نفسك غرفتك وأنت تدعو الله وتناجيه ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، أحتاج لك يارب، كهف الذي هو عمرة، تذهب في عمرة عشرة أيام أو خمسة عشر يومًا وتفصل عن كل حاجة في مصر، هذا المقصود بالكهف.

الدعاء سبب الاستقامة

٧_ ماذا قال أهل الكهف؟ قالوا " إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا" الكهف:١٠، الدعاء سبب الإستقامة.

بهذا نكون أتممنا شرح الحديث، أعطيتك كلام عملي، استقامة يعني استقامة القلب، استقامة اللسان، فإذا استقمت فوائد الاستقامة، الثبات والانتصار في معركتك مع الدنيا ومع الشيطان مع الأهواء، الاستقامة هي حل كل ذلك لذلك قالوا أن الاستقامة عزيزة.

ابن عباس يقول "ما أنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ" وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه حين قالوا له قد أسرع إليك الشيب قال:

"شيبتني هودٌ وأخواتُها" صححه الألباني وذكر القشيري عن بعضهم أنه رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام، فقال يا رسول الله قلت شيبتني هود وأخواتها فما شيبك منها؟ قال: فاستقم كما أُمرت.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36